Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 2, No. 8, June. 2017

Published on Web 01/6/2017

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثاني ـ العدد الثامن، يونيو 2017م

الانكشارية قوة الدولة العثمانية وضعفها

د. محمد عمر مروان

مقدمة البحث:

اتفق الباحثون الذين كتبوا في تاريخ الدولة العثمانية أن الموطن الأصلي لهم كان أواسط آسيا في منطقة واسعة شملت جبال الهملايا جنوبا، إلى جبال لألتاي شمالا، ومن الشرق جبال كنجان وكوكتور، وغربا جبال تيان شان[1]، وسرعان ما انتشروا نحو الغرب مؤسسين عدة دويلات بلغت تقريبا إحدى عشرة عشيرة حاكمة أهمها السلاجقة التي سرعان ما تأسست على أنقاضهم الدولة العثمانية فيما بعد[2].

لقد أكد المؤرخون على المساعدة التي قدمها زعيم القبيلة أرطغرل لجيش علاء الدين السلجوقي سلطان السلاجقة في حربه أمام البيزنطيين، والذي حول جيشه من هزيمة له إلى نصر أجبر السلطان السلجوقي على مكافأة أرطغرل على ذلك، بمنحه قطعة من الأرض بمحاذاة بلاد الروم إلى الغرب من بلاد السلاجقة[3]. لكي يجعلها إمارة عازلة بينه وبين أعدائه البيزنطيين، ويكون له بمثابة اليد الطولى لمواجهتهم.

إن كافة حروب أرطغرل وانتصاراته على البيزنطيين كانت تتم لحساب السلطان علاء الدين السلجوقي، وبعد وفاته عمد السلطان علاء الدين إلى تعيين أكبر أبناء أرطغرل يدعى عثمان واليا على اقطاعات أبيه ورئاسة عشيرته[4]. وإذانا باستقلاله وأن يكون له فيما بعد كل ما فتحه من الأراضي[5].

اتبع عثمان سياسة وخطوات أبيه في حروبه مع البيزنطيين وحقق انتصارات باهرة عليهم، وبذلك منحه السلطان علاء لقب بك، وسمح له بصك عملة باسمه، وكان عثمان يدين بالولاء التام للسلطان السلجوقي، فأخمد الفتن، وحارب أعداءه، وفتح قلاعهم، وحقق عليهم انتصارات باهرة[6].

ضعفت الدولة البيزنطية بسبب استبداد ولاتها بحكم أقاليمهم، حيث استغل عثمان هذا الجانب خاصة عندما بدأ الولاة البيزنطيين محاربة بعضهم بعض، مكنه هذا من الاستيلاء على ولاياتهم، فعلى سبيل المثال أن حاكم خرمن قيا الولاية البيزنطية يدعى كوسة مخيال[7]. الذي أصبح يفتن بين زملائه الولاة البيزنطيين لصالح عثمان بن أرطغرل، وهو الذي أطلع عثمان على ما دبره له الحكام والأمراء البيزنطيين من الإيقاع به، إلا أنه وبخطوة استباقية عجل بالقضاء على هذا الخطر وتمكن من التغلب على أعدائه بكل بساطة[8].

وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر تعرضت منطقة الأناضول إلى أزمات اجتماعية ودينية أدت إلى ثورة بابا اسحاق عام 1239 م التي شملت منطقة الحدود وبين الشام ونهر الفرات وجبال طوروس حيث استغل تواجد الفارين من هجمات المغول، ووجههم إلى حرب ضد سلاجقة الروم، ولمواجهة الموقف أرسلت قوات لمقاتلة بابا اسحاق، إذ تم القضاء على هذه الثورة عام 1243 م، وعلى أثر القضاء على هذه الثورة، تعرضت دولة سلاجقة الروم لهجمات المغول منيَ على إثرها علاء الدين السلجوقي بهزيمة كبرى عرفت بموقعة كوشة داغ سنة 1293 م حيث قتل هو وابنه غيات الدين[9].

بعد مقتل علاء الدين السلجوقي استبد ولاته كل بولايته، وكان عثمان أكثرهم حكمة، وأعظمهم قوة، وأشدهم بأساً[10]، حيث استأثر بجميع الأراضي التي اقتطعت له، واتخذ من مدينة يكي شهر الذي قام بتحصينها عاصمة لملكه[11].

لم يعلن عثمان استقلاله عن الدولة السلجوقية حتى وفاة السلطان علاء الدين السلجوقي، وبالتالي أعتبر المؤرخون أن بداية التأسيس للدولة العثمانية يرجع إلى عام 1300 م.

كان عثمان يتمتع بشخصية قوية شجاعة وما أن أعلن استقلاله عن الدولة سرعان ما استقطب حوله الكثير من الأعيان والعلماء والأمراء السلاجقة ومجاهدي

الثغور، وما أن تم له ذلك حتى بدأ بتنظيم دولته، والعمل على الحيلولة دون اضطرابها، وعين عماله على الأقاليم، حيث عين المقربين منه وأصحاب الثقة. فعلى سبيل المثال عين ابنه أورخان على حامية قره حصار، وأخاه كوند وزالب على أسكي شهر، واستقر هو في بيكي شهر. كان يأمل من تلك الإجراءات أن يتمكن من جمع شتات الدولة السلجوقية تحت ملكه[12].

إن نشأة الإمارة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول مجاورة للدول المسيحية التي عرفت بدار الحرب، هذا الموقع الجغرافي فرض عليها أن تنتهج نهجا عسكريا بمجابهة أعداءها، وبالتالي عمل على مراسلة الأمراء الروم القريبين من إمارته و خيرهم بين ثلاث الإسلام أو الجزية أو الحرب، فاستجاب بعضهم لذلك ودخلوا الإسلام، وأصبحوا من ضمن قواته، وقبل البعض الآخر دفع الخراج، بينما البعض الآخر استعان بالتتار لنجدتهم، الأمر الذي جعل عثمان يستعد و يجهز الجيوش لمحاربة هؤلاء، وعين على رأس قواته ابنه أورخان قائدا لها [13]

بدأت القوات العثمانية تدك مدن وحصون الروم مدينة تلو الأخرى براً وبحراً دون كللٍ و مللٍ، وإزاء هذه الروح والنزعة القتالية التي حرص عثمان على ترسيخها لذا جنوده، والتي كانت دافعا له لضم بورصة التي بادر لفتحها، وهذا الزخم والاندفاع العسكري لجيوشه بت الرعب والجزع في امبراطور القسطنطينية الذي بدوره استنجد بأمراء التتار، الذين بادروا بإرسال فرق منهم للإغارة على الدولة العثمانية فعاثوا فسادا، الأمر الذي جعل عثمان يخرج لهم ابنه أورخان على رأس جيش يتمكن من طردهم من مواقعهم، حيث تم على أثر ذلك دخول القوات العثمانية مدينة بورصة سنة 1326 م وإلزام أهلها بدفع مبلغ ثلاثين ألف دينار[14]، وما لبت أن دعا عثمان أبنه أورخان نتيجة مرضه وذلك ليخلفه في قيادة الدولة.

مما سبق يتضح أن قيام الدولة وتوسعها والتحركات العسكرية التي قامت بها كانت بداية لسياسة حربية انتهجها و التزم بها السلاطين المتعاقبين على السلطة فيما بعد[15].

إذن يمكن القول أن الدولة العثمانية دولة عسكرية بكل المقاييس وبالتالي فإن الجيش كان يمثل موضع اهتمامها حيث عملت على توفير كافة الإمكانيات المتاحة لها بشرية، ومادية، ليصبح أكبر قوة عسكرية تهابها قوات وجيوش الإمبراطوريات الأخرى.

إن هذه النزعة العسكرية والمتمثلة في التدريب الصارم والتنظيم الدقيق فرضتها عليهم البيئة التي عاشوا فيها حيث جاوروا العديد من الكيانات السياسية المسيحية والإسلامية، وكانت العلاقة بينها وتلك الكيانات عدائية، لذلك اصطبغت حياتهم بالصبغة العسكرية تمكنوا بفعلها من تطوير وبناء امارتهم أو دولتهم[16].

إن الطابع العسكري الذي ساد الإمارات التركية كان مصحوبا بنظام الفتوة الذي كانت تحركه الحمية لخدمة الإسلام، والذي وُرِث عن الدولة العباسية، هذا النظام الذي تبناه الخليفة العباسي الناصر (1180 . 1225 م) وذلك لإعادة هيبة الدولة والخلافة العباسية ليتمكن من الوقوف في وجه الأخطار الخارجية وخاصة الصليبية منها، وبالتالي عمل على دعوة أمراء المسلمين للدخول في منظمة الفتوة التي أنشأها. وقد استفاد العثمانيون من اتباع هذا التنظيم في فتوحاتهم أيما استفادة[17].

كانت الطقوس المتبعة في تنصيب الفتوة تشبه إلى حد كبير ما كان متبعا في تنصيب فرسان أوربا الغربية، وتميز هؤلاء عن بقية السكان بلباس خاص على شكل قلنسوة بيضاء كان يرتديها غزاة ثغور غرب الأناضول، وكان هدف تنظيم الفتوة هو متابعة الجهاد تحت قيادة زعيمهم الذي حرص على توفير سبل الراحة، وتسهيل وسائل الحياة لهم من خلال توزيع الغنائم عليهم[18]، ليضمن ولاءهم الدائم له وتكون حافزا لهم لمواصلة الحرب. إلا أنه واجهتهم مشكلة حيث أصبحوا غير قادرين على الإلمام بخدمة الأرض والالتزام بمتابعة الجهاد في وقت واحد وظلت قضية تبحث عن حل حتى أسس

العثمانيون دولتهم وسادوا من خلالها منطقة الأناضول وبنوا دولة كبيرة، تحولت إلى امبراطورية مترامية الأطراف[19].

وبناءً على ما تقدم فإن عظمة الإسلام وما غرسه في قلوب المسلمين من حب للجهاد ورغبة في الاستشهاد ،أو نشر الإسلام ما مكن أرطغرل وابنه عثمان من تحقيق انتصارات أبهرت العالم، هذا العامل كان مهما استمد منه حكام الدولة العثمانية وعلى رأسهم عثمان القوة المتدفقة للجهاد في سبيل الله وبهذا قدم المسلمون طواعية من مختلف مناطق الأناضول[20].

الجيش العثماني:

ومن هنا نتساءل هل وجدت تنظيمات عسكرية بالدولة ؟ وما أبرزها ؟ ومدى فعاليتها ؟ وللإجابة على ذلك يمكن القول نعم وجدت بعضا منها ولكن بشكلها التقليدي على سبيل المتال:.

أ . **حملة السيوف والفرسان الخيالة:**

كان حملة السيوف التنظيم الأول في الدولة العثمانية حيث استمر هؤلاء أكثر من نصف قرن، إذ أصبح كل فرد من قبيلة قابي التركية حاملا للسلاح وهي التي تُشكِل المجتمع العثماني، وأن أفرادها حاملي السلاح يعتبرون فرسانا لا ينفصلوا على جسد الجيش. كما أنه لا وجود لتشكيل عسكري عهد عثمان خارج التنظيم العشائري، ولم تكن هناك ميزات تميزهم عن بعض الكل حاملا للسيوف، ينطلق إلى ساحة القتال حال نشوب حرب على رأسهم السلطان ووزرائه، ومن هنا جاء أن كبار رجال الدولة في نفس الوقت قادة للجيوش[21].

كان الاعتماد الكلي على الفرسان التي كانت خيولهم مصدر قوتهم، جريئين بارعين تفوقوا على البيزنطيين بأسلوبهم البسيط الذي لا يحتاج إلى تخطيط أربك قوات العدو لقناعة قوات الفرسان أنهم لو خسروا المعركة لم يخسروا شيئا، وإذا حققوا نصرا

ربحوا كل شيء وهو حافز لهم على مواصلة القتال، وبالتالي كانت هجماتهم متواصلة طول السنة مما أرهق العدو.

ب . **الفرسان الإقطاعيون:**

اعتمد الجيش العثماني على ما عرف بالإقطاع العربي، أي أن السلطان كان يمنح اقطاعا زراعيا لأفراد من الخيالة يستقرون فيه، معتمدين في معيشتهم ورواتبهم على انتاجه عرفوا بالسباهية، وكان مقابل هذه الامتيازات يكونوا على أهبة الاستعداد حال دخول الدولة في حرب عليهم الالتحاق بأسلحتهم وخيولهم بساحة القتال[22]. وقد كانت أسلحة هؤلاء تتكون من القوس والرمح الخفيف والسيف القصير إلى جانب الدروع والخوذ[23].

هذا النظام قد يوفر للدولة العثمانية في بعض الأحيان ما يزيد على مائتي ألف مقاتل دون أي مصاريف تذكر، كما أن ارتباطهم بالأرض[24] ، جعلهم يتأخرون على الالتحاق بساحات القتال في الوقت المناسب، كما أنهم أهملوا تربية الخيول التي كانوا يعتمدون عليها اعتمادا كليا في ساحات القتال أضعف من قوتهم وخارت قواهم ، واستنادا على ما سبق انتزعت الدولة منهم ما اقتطعته لهم من أراضٍ وتجريدهم من كامل امتيازاتهم[25].

ج . **الفرق المرتزقة:** عرفت بفرقة السباهيين (فرسان الباب العالي) وتعد من أقدم الفرق العسكرية المرتزقة بالجيش العثماني، وقد اهتم هؤلاء بأنفسهم اهتماما كبيرا من حيث التدريب والتفنن في أساليب القتال، إذ أن الجهاد والحروب المستمرة هي حياتهم التي مارسوها[26].

د . **فرق المشاة البايا:** جاء تشكيلهم كتوسع للإمارة العثمانية، حيث رأى القادة العثمانيون ضرورة الاعتماد على قوات للمشاة إلى جانب الفرسان فتشكلت هذه الفرقة من المسلمين الأتراك، حيث يدفع لهم أجرا أيام الحرب، مقابل اعفائهم من الضرائب

الزراعية بعد انتهاء مهامهم العسكرية والعودة إلى أراضيهم، وعندما دب الفتور بينهم، وخمدت همتهم العسكرية، وكثرت ثوراتهم على الدولة العثمانية من وقت إلى آخر، الأمر الذي جعل الأخيرة تفكر في تعويض النقص العسكري الذي سببه هؤلاء، وذلك باستحداث تشكيلات جديدة عرفت بالانكشارية.

تشكيل فرق الانكشارية:

الانكشارية (يني تشري) كلمة من مقطعين يني تعني الجديد، وتشري تعني العسكر أي العسكر الجديد، أو الجيش الجديد. وقد اختلف المؤرخون حول التاريخ المحدد الذي نشأت فيه هذه الفرقة، والآلية التي تَم بها ذلك ؟ إلا أن أغلب المراجع أشارت إلى فكرة إنشاء هذه الفرقة نبعت من علاء الدين الشقيق الأكبر للسلطان أورخان 1326ـ 1362 م حينما لفت نظره الشباب والفتيان والمشردين والأيتام والأسرى المسيحيين، فأشار على شقيقه السلطان بضرورة تبني هؤلاء والاستفادة منهم وتربيتهم على أسس دينية إسلامية بحيث يحسون بأن السلطان والدهم الروحي والحرب صنعتهم والشهادة هدفهم[27].

بينما أشار بعض المؤرخين الأجانب أن هذه الفرق الانكشارية تأسست على أساس ما عرف بضريبة الغلمان، وقد زعموا أن السلطان أصدر قانونا يتم بموجبه أخذ خُمْسَ أطفال كل مدينة محتلة وضمهم للجيش العثماني، واعتقد البعض بصحة ذلك ونقل عنهم فعلى سبيل المثال ذكر عبد الكريم رافق بقوله ".... ولهذه الأسباب مجتمعة طبق العثمانيون في الفترة بين 1430 ـ 1438 م في عهد السلطان مراد الثاني ما عرف بالدفشرمة أي جمع الشبان ، وكانت ترسل كل خمس سنوات لجان تطوف روميلية لانتقاء الشبان الأشداء منها..."[28]، كان الغرض منها تعويض ما فقدته القوات العثمانية في المعارك المختلفة.

اختلف الكتاب والمؤرخون حول الفترات التي يجمع بها الغلمان هل هي فترات ثابتة عملتها الدولة وأقرتها، فبعضهم أشار أنها فترات متباعدة حيث يتم ذلك كل أربع سنوات، بينما ذكر آخرون يتم كل خمس سنوات، والبعض أورد يتم كل سبع سنوات، وقد أعفي من هذه الضريبة أطفال اليهود والأرمن الكاثوليك[29]. واقتصر أعمار هؤلاء المجلوبين بين 8 سنوات وعشرين سنة مع اشتراط الصحة الجيدة وانتماء أسري ذو نسب عالٍ معروف، الأمر الذي قلص أعداد الجيش الجديد، غير أنه بالسماح لأطفال المسلمين بالالتحاق بناء على طلب أهاليهم وتوسطهم وتحايلهم لذلك نظرا لما يتمتع به الجيش الانكشاري من مزايا كثر عددهم.

ومن الواضح أنه لم تكن هناك قاعدة ثابتة لاختيار الأطفال، بل أن الكثير من المسيحيين رحبوا بالفكرة ودفعوا بأبنائهم لقناعتهم بالمستقبل الزاهر الذي ينتظر أطفالهم في ظل الدولة العثمانية التي كانت تهتم بهم كثيرا [30]، كما سبق الإشارة إلى ذلك. وأرى أن بداية النشأة غلب عليها الطابع الإنساني، حيث تم جمع هؤلاء المشردين والأيتام، ووضعهم في أماكن خاصة للاستفادة منهم بعد القيام بتربيتهم تربية سليمة، وتنشئتهم على مبادئ الدين الإسلامي وتعليمهم حب الدولة العثمانية والولاء لها وللسلطان، بعد فك ارتباط هؤلاء بدويهم وأصولهم وفعلا كان.

يتم تعليم هؤلاء منذ الصغر على خدمة **هدفين:**

الأول/ تشكيل طبقة في المجتمع منهم لا تدين بالولاء لعشيرة أو قبيلة بل ينتمون إلى السلطان والدولة العثمانية.

والثاني/ يمنح هؤلاء الأطفال أفضل مستوى تعليمي في ذاك الوقت سواء تعليم ديني أم غيره.

كانت تدريباتهم عنيفة وشاقة وصارمة لانتزاع عقد الخوف مِنْ نفوسهم، كما يدربون على النظام والتعاون العسكري فيما بينهم، كل ذلك مكنهم مِنْ أن يصبحوا أقوى قوة

تهابها أعتى الجيوش[31]. وقد حرصت الدولة العثمانية على العمل بمنع هؤلاء الأطفال والجنود الاتصال بأسرهم والارتباط بهم وبأقاربهم، وفرضت عليهم وقت السلم الاقامة بثكناتهم المغلقة المزودة بغرف للنوم، ومطابخ ومخازن للأسلحة والذخائر وكافة حاجياتهم، حيث اقتصر بداية الأمر على ثكنة واحدة للإنكشارية في مدينة أدرنه، تم ما لبث أن زاد عدد الثكنات في استانبول بعد فتحها على يدي محمد الفاتح سنة 1453م، إذ تم تأسيس ثكنتين بها. كما أنه تم تمييز كل فرقة من الإنكشارية بشارة خاصة بها وضعت على أبواب ثكناتهم، وخيامهم التي تقام بساحات القتال، ووصل الأمر ببعض الجنود أن نقشوا شارة فرقتهم على أذرعهم وسيقانهم بالوشم[32].

نجحت هذه السياسة التدريبية العثمانية مع هؤلاء الشبان والأطفال، إذ كان نتاج هذه التربية والتدريب والتعليم تصنيفهم إلى ثلاث، **أولها** تَخَرَجَ منهم مَنْ مسك وظائف إدارية عامة بالدولة، أو اختير منهم مَنْ أدخل قصور الحريم لخدمتهن وذلك بعد اجراء عملية خصي لهم. و **ثانيها** البعض أظهر نبوغا وذكاءً فأصبح منهم الوزراء وقادة الجيوش، وحتى الصدور العظام. و**ثالثها** وهم الكثرة والأغلبية الساحقة الذين انضموا إلى الجيش الانكشاري الذي أصبح من القوة التي يحسب لها ألف حساب[33].

ارتبط الجيش الانكشاري بالنظام العسكري الصارم فكانت تتم ترقيتهم حسب الأقدمية، ولا تقف عند حدٍ معين فالمنسب حديثا يطلق عليه قره قوللقجي ومن مهامه القيام بالأعمال الدنيا كتنظيف الغرف وغيرها، ومع مرور الزمن يتدرج في الترقية حتى يصل إلى رتبة ووظيفة أغا الانكشارية، وربما يصل إلى أبعد من ذلك حتى يصل إلى منصب الصدر الأعظم[34]. كما تسرح الدولة من يصاب أثناء الخدمة، أو من تقدم به السن، وتصرف لهم مرتبات تكفيهم لمعيشتهم. ومنحت الدولة هذه الطائفة عدة امتيازات منها على سبيل المثال لا يمكن القبض عليهم إلا بأمر عالٍ، وإذا تكرر من الانكشاري أعمال مسيئة يعاقب عليها القانون ينفد به حكم الخصي، وكان أغا

الانكشارية هو من يأمر بذلك، وهي عقوبة كبيرة وقاسية لأن من نفد في حقه هذه العقوبة سيفقد رجولته تؤهله للعمل داخل قصور الحريم، وقد تشمل بعض العقوبات والأحكام الحكم بالإعدام حيث كان ينفذ سرا وليلا[35].

حُرم الانكشاريين من الزواج، وبالتالي ما عُلِمَ له هو الإسلام عقيدته، والسلطان العثماني والده، والثكنة مكانه ومأواه، والحرب حرفته، والنصر أو الشهادة مطمحه[36]. كما منع عليهم الاشتغال خارج الجيش كالأعمال الاقتصادية كالتجارة والزراعة والصناعة خوفا أن تخمد هممهم، وتخور قواهم، وتخبو عسكريتهم الصارمة، وتطفئ حماسهم إلى أن جاء السلطان سليم الأول فسمح لكبار السن منهم بالزواج، وكان يطلق على ابن الانكشاري اسم (قول أوغلي) أي ابن الجند ويحق لهؤلاء الأولاد أن يلتحقوا بالأوجاق[37] وتخصص لهم العلوفات[38].

تميز الانكشاريون في لباسهم بالقلنسوة التي كان يلبسها صاحب الطريقة البكتاشية[39] حينما باركهم. ويعد أغا الانكشارية من أبرز الشخصيات في الدولة العثمانية نظرا لوظيفته أنه يقود أكبر فرقة عسكرية في الدولة، علاوة على ذلك مكلف بوظيفتين أخرتين، **أولها** كرئيس لقوات الشرطة في استانبول، و**ثانيها** المسؤول الأول على حفظ النظام والأمن بها. حيث كان له مقر خاص باستانبول ومكاتب أخرى بالأماكن المتواجدة فرقته بها. يختاره السلطان من بين ضباط الفرقة، إلا أنه بعد وصول السلطان سليمان القانوني سدة الحكم بدأ اختيار رئيس هذه الفرقة من بين كبار ضباط القَصر لمحاولة الحد من جبروت وطغيان هذه الفرقة[40].

يعقد ديوان أغا الانكشارية جلساته تحت رئاسة الأغا ليناقش فيه أمور الأوجاق والقضايا المتعلقة بذلك. كما لا يحق له المشاركة في اجتماعات الديوان الهمايوني إلا إذا كان برتبة وزير (أغا باش) وإذا كان كذلك سمح له بالدخول لغرفة العرض ليعرض على السلطان أمور الأوجاق[41].

لعب الانكشاريون دورا مهما في الجيش العثماني لتمتعهم بالشجاعة والكفاءة وحسن استخدامهم للعديد من انواع الأسلحة القديمة كالمقلاع والقوس والسهام إلى جانب الأسلحة النارية الحديثة[42] كما ساهم الانكشاريون في فتح جزر شرق البحر المتوسط كقبرص وكريت وغيرهما وفتحوا منطقة البلقان التي سقط أمراؤها واحداً تلو الأخر خاصة بعد سقوط أدرنة ثاني مدن الدولة البيزنطية بعد القسطنطينية عام 1362 م خلال حكم السلطان مراد الأول 1362 . 1389 م، وبفتح هذه المدينة تسنى للجيش العثماني ضم بلغاريا واحتلال صوفيا ونيش، وذلك بعد هزيمة الجيش الذي أعده البيزنطيين لاسترجاع أدرنة[43].

ساهمت قوات الانكشارية في توسع الدولة العثمانية بشكل كبير وبجدارة وكفاءة خاصة حينما فتحوا القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح عام 1453م [44]. وأيضا كانت جهود الانكشارية واضحة في الحروب التي خاضها العثمانيون ضد الدولة الصفوية الشيعية الذين شكلوا خطرا على الدولة العثمانية، عندما حاولوا نشر المذهب الشيعي بمنطقة البلقان على حساب المذهب السني مذهب الدولة العثمانية، حيث أدرك سليم الأول 1512 . 1520 م خطورة ذلك إذا ما تحولت منطقة الأناضول إلى المذهب الشيعي، ولهذا لم يتوان عن محاربة الصفويين خاصة بعد الانقلاب الناجح الذي قاده الانكشاريون ضد السلطان بايزيد الثاني 1481 . 1512 م والده الذي تغاضي عن امتداد المذهب الشيعي في المنطقة لصالح الصفويين، إذ على أثر هذا الانقلاب وصل سليم الأول إلى سدة الحكم وأصبح قائدا للانكشارية، ومن تم بدأ بمهاجمة الصفويين لوقف خطرهم، ونقل المعركة إلى إيران حيث دارت معارك كثيرة بين قوات الشاه اسماعيل الصفوي، والسلطان سليم الأول أهمها معركة جالد يران سنة 1514 م، والتي انتصر فيها العثمانيون، ورغم أنها لم تكن حاسمة فإنها حققت مكاسب كبيرة للعثمانيين منها السيطرة على مدن كثيرة في شمال العراق[45]. وقد عمل الانكشاريون على حفظ

الأمن وتنظيم شؤون العراق، حتى تمكن بعضهم من الوصول إلى منصب والي بغداد سنة 1661 م، وكذلك عام 1674م [46]

رغم أن معركة جالد يران لم تكن معركة حاسمة إلا أنها فتحت أعين العثمانيين على الدول المسلمة حيث تطلعوا إلى فتح الشام، وتم لهم ذلك بعد معركة مرج دابق 1516م، ومن تم واصلوا فتوحاتهم حتى استولوا على مصر بعد معركة الريدانية سنة 1517 م. كل تلك الفتوحات والتوسعات تمت بمساهمة كبيرة من الجيش الانكشاري حتى وصلت السيطرة العثمانية على الحجاز واليمن[47]

كان الانكشاريون الدعامة الأساسية في سيطرة الأخوين بربروسا على كامل التراب الجزائري خاصة بعد إرسال السلطان سليم الأول من مصر عدد ألفي (2000) مقاتل انكشاري بمعداتهم العسكرية بناء على طلب من الأخوين[48].أما بخصوص طرابلس الغرب فقد تمت السيطرة عليها عن طريق استنجاد سكانها من السلطان العثماني سليمان القانوني 1520-1566 م ، حينما سافر وفد من مجاهدي تاجوراء لمقابلته، وطلب المساعدة منه لتخليص بلادهم من الأسبان وفرسان مالطا، وفعلا تم للوفد ما أراد، وتخلصت طرابلس منهما وبالتالي أصبحت ولاية عثمانية سنة 1551م وعين مراد أغا الانكشاري أول والٍ عثماني عليها[49]. كما ساهم الانكشاريون في انهاء الدولة الحفصية في تونس عام 1574 م، وبالتالي أصبحت ولاية عثمانية، ومن تم الإبقاء على أربعة ألاف انكشاري بتونس للمحافظة على الأمن وجباية الضرائب[50].

مما سبق تمكنت الدولة العثمانية من فرض سيطرتها على العراق وشبه الجزيرة العربية شرقا إلى الجزائر غربا بفضل قوة وجرأة وشجاعة القوات الانكشارية.

فساد الانكشارية ورفضهم الإصلاحات:

مع بداية تأسيس الانكشارية لم يكن لديهم أي نفوذ سياسي داخل الدولة أو أي طموح لذلك، إلا أن النفوذ الوحيد المتمتعين به كان معنويا، لما اشتهروا به من القوة

والشدة القتالية، وتبعيتهم المباشرة للسلطان، وأن كتائبهم وثكناتهم كانت تفصل وتميز عن بقية كتائب الجيش الأخرى.

وكما علمنا استطاعت الدولة العثمانية التوسع من خلال فرقهم في مدة وجيزة، واجهت فيها أعتى وأقوى الجيوش الأوربية وحققت انتصارات باهرة عليهم، وظل اعتمادها على هذه الفرق لفترات طويلة أحس فيها الانكشاريون بأهميتهم خاصة حينما لجأ إليهم سليم الأول بمساعدته بالقيام بثورة ضد والده ووصوله إلى سدة الحكم. وخلال حكم أبنه السلطان سليمان القانوني وازدياد الفتوحات العثمانية في عهده كانت القوات الانكشارية هي مرتكزه واعتماده الأساسي عليهم في تلك الفتوحات، الأمر الذي جعلهم يحسون بأهميتهم، وأنهم أحق من غيرهم بتولي المناصب الكبرى في الدولة وقادهم غرورهم بالتدخل في كل أمورها[51].

أصبح اعتقادهم الكامل أنهم عماد الجيش وان كافة انتصارات الدولة يرجع الفضل في تحقيقها لهم، وبالتالي استغلوا ذلك وأصبحوا يخرجون عن أوامر السلطان، فأصبح النهب والتدمير سمة من سماتهم في البلاد المفتوحة ضاربين عرض الحائط الأوامر التي تصدر لهم.

كان العشرة سلاطين العظام الأوائل في الدولة العثمانية يخرجون على رأس هؤلاء لقيادتهم وفتحت البلدان على أيديهم، إلا أن السلطان سليمان القانوني أصدر فرمانا بإلغاء التبعية المباشرة لهذه الفرقة له، وجعل قيادتها إلى ضابط منهم، وبالتالي أحسوا باستقلالهم عن سلطة القصر والسلطان، وبهذا زادت تطلعاتهم نحو السلطة والسيطرة عليها وذلك من خلال امتيازات منحت لهم فعلى سبيل المثال أصبح الاعتماد عليهم للقيام بمهام الشرطة وحفظ الأمن داخل المدن بالولايات العثمانية[52].

إن التنظيم الانكشاري وأساليب تربيتهم وتدريبهم جعل منهم طائفة مستقلة بذاتها بعيدة عن التحالفات داخل الدولة العثمانية، وأسرتها الحاكمة، مما جعل السلاطين يغدقون عليهم الأموال والعطايا خوفا من أي تمرد محتمل منهم[53]. إلا أنهم

أصبحوا يتمادون في طلب الأعطيات والهبات خاصة مع تولي كل سلطان جديد السلطة، كما وصل بهم الأمر إلى الاعتراض على مواصلة الحروب، وعز عليهم الاستكانة إلى الخلود والراحة[54]. بل تمادوا إلى ما هو أخطر من ذلك ففي أثناء حربهم مع الصفويين أجبروا السلطان سليم الأول مرغما على قطع رأس الصدر الأعظم، ورأس قاضي العسكر، ورأس قائدهم نفسه[55]. ولكثرة غيهم قاموا بقتل بعض السلاطين.

وفي عام 1620 م خاض العثمانيون معركة مع بولونيا إذا ما تمكنوا من الانتصار عليها جعلوها منطقة حاجزة بينهم وبين روسيا، وكاد العثمانيون يحققون نصراً باهراً في هذه المعركة جعل البولونيون يسعون في طلب الصلح خوفا من الهزيمة، وأمام ضغط الانكشارية جنود هذه المعركة، وتخاذلهم وتوقفهم عن القتال، رضخ السلطان العثماني لإتمام الصلح[56].

ومع ازدياد خطرهم عملت الدولة على التقليص من عددهم حيث عدلت سن الالتحاق بالجيش الانكشاري بحيث أصبح لا يتجاوز خمسة عشر ألف، الذي كان فيما مضي 150 ألف جندي، حيث ترتب على ذلك إلغاء ضريبة الغلمان تدريجيا إلى أن ألغيت تماما أوائل القرن السابع عشر.

أدرك السلاطين أن الانكشارية لم تعد عامل قوة أو أداة طيعة يمكن الالتجاء إليها وقت الأزمات لمواجهتها، بل أصبحوا مصدر ازعاج للدولة، ولخطورتهم تم توزيعهم بين الولايات، ولم يبق منهم بالعاصمة العثمانية عدا أربعة ألاف انكشاري فقط، لقناعة السلاطين المتعاقبين بخطرهم، لأن بقاءهم بأعداد كبيرة في مكان واحد يزيد من قوتهم وجبروتهم وازدياد مشاكلهم[57].

ونظراً لضعف الدولة العثمانية اقتصاديا، وما كان يصرف على هذه الفرقة من أموال ارهق خزينة الدولة، وهي فرقة مستهلكة نظرا لإقامتهم داخل ثكناتهم ولا يخرجون منها إلا أيام الحرب تم يعودون لها، وبعد صدور الفرمان السلطاني بالسماح لهؤلاء بالزواج وممارسة حياتهم العادية التي كانوا محرومين منها، محاولة من الدولة

التخفيف من نفقاتهم، حيث أهتم هؤلاء بحياتهم الاجتماعية والاقتصادية الجديدة أبعدتهم عن الحياة العسكرية التي كانت شغلهم الشاغل[58]، مما سبب ضعف هذه الفرقة عسكريا، وأصبح انتماءهم لها وراثيا، ولا يذهبون إلى ثكناتهم إلا وقت استلام الراتب[59].

رغم السماح للانكشارية بممارسة حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والاختلاط مع شرائح المجتمع المختلفة فإن ذلك لم يخفف من جبروتهم على الدولة والمواطنين الذين تضرروا من شرورهم حيث بدءوا يتعمدون ممارسة السلب والنهب واقتحام البيوت ومهاجمة الأعراض[60].

كانت هذه الفرقة عامل قوة للدولة وتوسعها، وأيضا عامل مهم لضعفها وتدهورها وذلك لممارستهم السيئة لنفوذهم، مع إرهاق خزينة الدولة، خاصة الفترة التي بدأت تمر فيها بأزمتها المالية نتيجة للحروب التي خاضتها، مع انخفاض قيمة العملة، الأمر الذي أدى إلى عصيان الانكشارية الذي وُصِفَ من قبل المؤرخين بحادثة بيلربك عام 1589 م، إذ ثار الانكشاريون بعد استلام رواتبهم بعملات ناقصة القيمة ألقي فيها اللوم على كلٍ من حاكم (البيلر بك) الروميلي ورئيس الخزانة إذ أذعن السلطان مراد الثالث 1574 . 1595 م لهذا العصيان وإعدامهما رضوخا لطلبهم، وقد استمرت حالات التمرد طوال القرن السابع عشر[61]. وقد ثار انكشارية الحدود، وتركوا أماكنهم على أثر عزل قائدهم خسرو باشا، وهجموا على العاصمة، وطالبوا السلطان تسليمهم الصدر الأعظم وعدد سبعة عشر (17) من كبار مسؤولي الدولة وتم اعدامهم وعوضوا بموظفين جدد حسب رغبتهم[62].

خلق الانكشاريون فوضى عارمة نتيجة إهمالهم واجباتهم العسكرية، وتدخلهم في شؤون الدولة، وسلب اختصاص السلاطين وعزلهم، وأحيانا تصل إلى قتلهم. الأمر الذي دفع بالسلاطين إلى الإصرار على تحديث الجيش عرف ذلك (بالنظام الجديد)، خاصة بعد ضعف الجيش الانكشاري وتلقيه هزائم كثيرة أمام الجيوش الأوربية.

رفض الانكشاريون تطبيق النظام الجديد وإدخاله في فيالقهم العسكرية، الأمر الذي زاد من خطرهم و تمردهم وعصيانهم، وليقينهم أن هذا النظام إذا ما تم تطبيقه سيجبرهم إلى الاندماج مع فيالق أخرى وفرق جديدة تفقدهم خصوصيتهم و امتيازاتهم الخاصة[63].

برزت معارضة الانكشارية للإصلاحات زمن السلطان سليم الثالث 1789 . 1807م، لأنه كان مقتنعا بالإصلاحات في كافة المجالات خاصة فرق الجيش بما فيهم الانكشارية الذين رفضوا الإصلاح، والقيام بالتدريب العسكري واستعمال الأسلحة الحديثة واعتصموا اعتراضا على تنفيذ ذلك[64].

مما أرسل السلطان في طلب والي قرمان عبد الرحمن باشا مع جيوشه والتوجه بها إلى أدرنة حيث يعتصم الانكشاريون، وحال وصوله المدينة وجد ابواب المدينة مقفلة في وجهه، وجرت اشتباكات بين الطرفين لم تكن حاسمة، وخوفا من السلطان أن يمتد الاعتصام إلى شرائح أخرى رضخ إلى طلب الانكشارية بإلغاء النظام الجديد، كما اجبر على التنازل عن العرش عام 1807 م[65].

جبروت الانكشارية وطغيانهم:.

كان اعتراض الانكشارية على اصلاحات السلطان سليم الثالث (1789 . 1807 م) وغيره من السلاطين دليل على التدهور والتهور والانحلال الذي وصلوا إليه، فقد سبقت هذه الإصلاحات موجة من الاضطرابات والفساد من قبلهم تمثلت في عزل وقتل السلاطين وكبار رجال الدولة، فعلى سبيل المثال أجبر الانكشارية السلطان بيازيد الثاني (1481 . 1512 م) عن التنازل عن السلطة إلى أبنه سليم الأول بعد أن ضاقوا درعا بالسياسة السلمية التي انتهجها والده، ووجدوا الفرصة سانحة لتنفيذ ذلك، فترة الصراع على السلطة بين أبنائه الثلاثة، وأجلسوا سليم الأول (1512 . 1520 م) على سدة الحكم مكانه لتوسمهم فيه قدرته تنفيذ سياستهم الحربية والتوسعية[66].

وخلال حكم السلطان مراد الثالث (1574 . 1595 م)، طالب الانكشاريون بتسليمهم الباش دفتردار، و محمد باشا بكلربك الروميلي لصرفهما لهم نقودا فضية ناقصة العيار، وحينما لم تستجب الدولة لتنفيذ هذا المطلب اتجه الانكشاريون إلى سكن الرجلين وقتلوهما شر قتلة، في الوقت الذي عجزت الدولة فيه عن وقف تنفيذ فعلتهم هذه[67]. كما فرضت هذه الفرقة على السلطان عثمان الثاني (1618 . 1622 م) الصلح مع بولونيا وقَبِلَ ذلك على مضض، مما دعاه إلى العمل على التخلص منهم وبأسرع وقت لا سيما حينما رفضوا اشتراكهم بالحرب، فقرر ازاء ذلك تشكيل جيش في آسيا يستطيع الوقوف في وجههم، وحال معرفتهم بهذا الأمر هجموا على السلطان واقتادوه من قصره وقاموا بإعدامه[68]. وأيضا من ضمن جرائمهم ضد السلاطين قَتْلِهِم السلطان ابراهيم الأول(1640 . 1648 م) خنقا يوم زفاف ابنته، وعينوا بدله ابنه الطفل محمد الرابع وعمره لم يتجاوز سبع سنوات . كما تم عزل السلطان مصطفى الثاني (1695 . 1703 م)، وكذلك السلطان أحمد الثالث (1703. 1730). وأيضا السلطـــان سلـــيم الثالث (1789 . 1807 م) تم خلعه وإعدامه، والسلطان مصطفى الرابع (1807 . 1808 م) تم عزله وإعدامه. من هنا بدأ تسلط الانكشاريون على مفاصل الدولة[69].

لم يكتف الانكشاريون بعزل السلاطين وكبار رجال الدولة، بل عمدوا إلى خلق المشاكل في المناطق التي ضمتها الدولة إلى حوزتها، فأعمالهم المرعبة لم تقتصر على العاصمة وضواحيها، بل امتدت إلى منطقة البلقان وشمال أفريقيا[70]. فعلى سبيل المثال لعب الانكشاريون في شمال أفريقيا دورا أساسيا ، وكانوا القوة الداعمة التي اعتمد عليها الأخوان بربروسا وخلفاؤه من بعده في فرض سيطرتهم على الجزائر، حيث سيطروا بها على الديوان الذي تكون من كبار ضباطهم، ونافسهم في ذلك كبار قراصنة البحر، إلا أن اليد العليا للانكشارية مكنتهم مقاسمة القراصنة الغنائم التي يحصلوا عليها.

كان التجانس سمة انكشاري الجزائر لقدومهم من منطقة الأناضول، والعنف والقسوة ميزتهم، ونظرا ما للولاة بالجزائر من قوة خضع الانكشاريون لهم، وحينما يحسوا بضعف أحدهم ثاروا عليه.

تمتع الانكشارية بنفوذ واسع بالجزائر عقب الانتصارات التي حققوها، فتدخلوا في شؤون الحكم، فمنعوا دخول تكلرلي إلى العاصمة الجزائر، وقتله حينما دعمه القراصنة، وفي عام 1562 م أسروا الوالي حسن باشا ابن خير الدين بربروسا وأرسل مكبلا إلا الأستانة بحجة رغبته الاستقلال بالجزائر عن الدولة العثمانية.

ألغت الدولة العثمانية عام 1587 م نظام البكلربكية[71] في الجزائر، وبدأ بها عصر جديد عرف بعصر الباشوات الذي استمر 1587. 1659 م، وغرض الدولة من ذلك الحد من طموح البكلرباكية[72]، إلا أن سلطة الباشوات بدأت تضعف بسبب اهتمامهم بجمع الثروات لصالح أنفسهم، وتركوا مواجهة القراصنة والعساكر.

أحس الولاة بخطر القراصنة وبالتالي وقفوا مع الانكشارية ضد سيطرة القراصنة على الجزائر خلال العقد الأخير من القرن السادس عشر، حيث حاول الوالي حيدر باشا فرض سيطرته ونفوذه على الجزائر معتمدا على رجال القبائل والكوالغلية[73]. وبتشجيع منه ثار الكوالغلية، وأجبروا الانكشارية على منحهم الكثير من الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها[74].

سيطر الانكشاريون على الديوان بالجزائر، الذي ترأسه أغا الانكشارية حاكم الجزائر في نفس الوقت وبالتالي أصبحت قراراته لها قوة القانون، وأصبح للديوان كافة الصلاحيات بموافقة السلطان العثماني على ذلك منها تعيين الموظفين، وقبطان البحر، وتحديد مرتباتهم[75].

بينما بتونس ثار الانكشارية بسبب مواجهة الوالي لهم والحد من سيطرتهم و نفوذهم، فاستولوا على الديوان بعد قتل العديد من أعضائه، وعلى أثر ذلك تسلموا

السلطة، وعينوا من بينهم ضابطا صغيرا لقب بالداي أصبح الحاكم الفعلي للولاية، تم أستحدث منصب الباي[76]، ورئيس الأسطول .

أما في طرابلس الغرب وبمجرد السيطرة عليها من قبل العثمانيين[77]، ثار الانكشاريون في النصف الثاني من القرن السادس عشر ضد الوالي، وخوفا من السلطات العثمانية ضياع طرابلس من حظيرتها، أرسلت قوات لمساندته للسيطرة على الوضع.

مارس الانكشاريون بطرابلس نفوذهم وسيطرتهم كما مارس نظرائهم في تونس والجزائر من خلال سيطرتهم على الديوان، وثاروا على رؤسائهم والوالي، وعينوا في منصب الداي واحدا من ضباطهم الصغار، ولم يعترفوا بالوالي القادم بفرمان سلطاني، إذ اكتفوا بحكم الداي المعين من قبلهم.

أما في مصر فعل الانكشاريون ما فعلوه بالولايات السابقة، إذ قاموا بثورات عدة اتصفت بالعنف والقسوة، كان أولها في 14 أغسطس عام 1589 م هاجم فيها العساكر الوالي أويس باشا واقتحموا بيت القاضي وقتلوا مجموعة من أتباعه، ولم تهدأ هذه الثورة إلا بتحقيق مطالبهم وهي:

1. السماح لهم بأخذ الطلبة[78].
2. منع أبناء العرب من الالتحاق بالجيش، ليتسنى لهم الأمر كما يريدون.
3. عدم استخدام المماليك البيض بالجيش.

وفي 7 فبراير 1598 م تجرئوا واعترضوا طريق الحاكم الشريف محمد باشا مما أجبره الالتجاء إلى القلعة، وبالتالي أصبحت السلطة الفعلية بأيديهم، فقتلوا كبار الأمراء، وكبار رجال الدولة والأعيان الذين كانوا يعارضون مصالحهم، على سبيل المثال في 25 سبتمبر 1604 قتل الوالي إبراهيم باشا المكلف بإزالة رسم الطلبة منهم، والقضاء على تمردهم، وسرعان ما نصب هؤلاء قائمقام منهم مكانه دون أخذ أمر من السلطة بالأستانة.

حاولت السلطة العثمانية ملاحقة المتمردين، وقتلت عدد منهم، ولم يتم القضاء عليهم إلا في عهد الوالي محمد باشا 1607- 1611 م حيت دكهم بالمدافع في موقعة الخانقاه، وقتل عدد كبير منهم، ونفى بقيتهم إلى اليمن، وأبطل رسم الطلبة[79].

أما في بغداد فلم تنج أيضا من ظلم وتعسف واستبداد الانكشارية، فقامت بها العديد من الثورات أخطرها التي قادها الانكشاري بكر الصوباشي[80] عام 1622 م، واستطاع السيطرة على بغداد. و تمكن هذا الانكشاري الحصول على دعم الأعيان، مما أثار خشية والي بغداد منه.

استغلت هذه الثورة والثورات اللاحقة من قبل الصفويين حيث تمكنوا من السيطرة على المدينة في 27 نوفمبر عام 1262 م[81].

أما بلاد الشام فلم تكن هناك ثورات تذكر بل تمرد الانكشارية الهدف من ذلك الحصول على أكبر قدر من المال وذلك بابتزاز الأهالي، كما أصبحوا يسيطرون على السلطة وصل بهم الأمر أن عينوا أمراء قافلة الحج الشامي من بينهم[82]

نهاية الانكشارية:.

مما سبق فإن تدخل الانكشارية وسيطرتهم على مقاليد السلطة في البلاد وتدخلهم في كل صغيرة وكبيرة بالدولة أهمها منصب السلطان، فقد ثاروا على عدد منهم، وتم عزلهم وقتلهم. هذه الأسباب جعلت المسؤولين بالدولة يفكرون جليا بالقضاء على مؤسسة الانكشارية لما سببوه من ضعف عام للدولة وطموحهم ورغبتهم بالسيطرة على مؤسسات الدولة و مقاليد السلطة بها، وانغماسهم في الحياة العامة وملذاتها، وتركهم ساحات القتال، واتجاههم إلى السلب والنهب خاصة أثناء عمليات الغزو. ونتيجة لتلك السياسة خسر العثمانيون الكثير من القلاع والحصون والسيطرة عليها من قبل أعدائهم الأوربيين. حاول السلطان عثمان الثاني 1618 . 1622 م القضاء عليهم إلا أنهم سرعان ما خلعوه وقتلوه.

إن المسلك التي انتهجته الانكشارية بخلع وقتل السلاطين وتعيين أبنائهم صغار السن مكانهم كسلاطين، طمَعَ الأوربيين في القضاء على الجيش العثماني، لأن الضعف بدأ يهز كيانه، والهزائم تلحق به من حين إلى آخر لتكاسل الانكشاريين واستعمالهم الأسلحة التقليدية القديمة، مما حدا بالسلاطين التفكير بتطوير المؤسسة العسكرية وتجديد بنيتها بما فيها الجيش الانكشاري الذي تمادى بإلحاق الضرر بمؤسسات الدولة وشعبها.

فشل السلاطين في احداث التطور المطلوب حتى عهد السلطان محمود الثاني 1808ـ 1839 م الذي وضع نصب عينيه العمل على انهاء مؤسسة الانكشارية التي اتسمت بالتسلط والتخريب والعنف، حيث أيقن أنه لا يمكن اصلاح الوضع القائم الذي عليه الدولة من فوضى وضعف ما لم يقم بإصلاح الجيش بما فيها الجيش الانكشاري، الذين لم يتقبلوا سياسة الإصلاح، وكرد فعل لهؤلاء ثاروا على السلطان محمود الثاني وابرموا النار في أغلب المناطق، وخوفا من تدمير العاصمة أذعن السلطان لمهادنتهم مرجئا تنفيذ برنامـــجه الإصلاحي إلى وقت قادم [83].

حاول السلطان مرارا مع هؤلاء قبول فكرة الإصلاح إلا أنه فشل مع كل المحاولات التي اتخذت معهم. لذلك أمر صدره الأعظم أن يدعو إلى اجتماع في 27 / مايو 1826 م بدار شيخ الإسلام حضره كافة كبار قادة الجيش، وكبار ضباط فيالق الانكشارية، ورجال الدين على رأسهم شيخ الإسلام، حيث طُرح في هذا الاجتماع ما آل إليه حال الانكشارية من سلب ونهب وتدهور وانحلال، أدي إلى ضعف عام في مؤسسات الدولة، وبالتالي ضرورة الأخذ بالنظم الحديثة وعلى رأسها مؤسسة الانكشارية من تحديث وتدريب وتسليح، وسرعان ما لاقت هذه الأفكار قبولا واستحسانا من الجميع بما فيهم ضباط الانكشارية، وما زاد في سرعة قبول الأفكار الفتوى التي أصدرها شيخ الإسلام بضرورة الأخذ بالنظم الحديثة وتطوير الجيش. وكان من أهم نتائج الاجتماع

أن أصدر السلطان في 28 مايو 1826 م فرمانا باسم خطي شريف الذي نص على وجوب تحديث الجيش وفقا للنظم الأوربية الحديثة[84].

والسؤال هل وافق الانكشاريون على ذلك الفرمان ؟ رغم موافقتهم المبدئية أثناء الاجتماع فإنهم أعلنوا التمرد والعصيان في استانبول يومي 14، 15 يونيو 1826 م و بدءوا يشعلون النار في مبانيها، ويقتحمون المنازل، ويحطمون المحال التجارية، وقد أعتبر هذا آخر تمرد لهم[85].

وجد السلطان محمود في هذا التمرد دافعا قويا له، وأن الفرصة سانحة له للقضاء على هؤلاء المتمردين خاصة بعد فشلهم في القضاء على ثورة اليونانيين، واعتبر ذلك سببا قويا للقضاء عليهم[86].

أصدر السلطان أوامره للجيش يوم 15 يونيو 1826 م بتطويق المتمردين في ساحة آت ميداني لوقوفهم في وجه الإصلاح، ووضع حدٍ لشرورهم، ووافق العلماء على ضربهم وقمعهم، وأمر بدكهم بالمدافع مما أجبرهم إلى فك التمرد، والرجوع إلى ثكناتهم التي دكت بالكامل، وأبرم بها النيران، حيث سقط منهم ما يزيد على ستة ألاف انكشاري (6000) قتيلا، ولم ينجو منهم إلا القليل، وقد عرفت هذه الحادثة بالواقعة الخيرية. وعلى موجب هذه الهزيمة أصدر السلطان محمود الثاني فرمانا بإلغاء هذه المؤسسة ومصادرة أملاكهم وكل ما يمت لهم بصلة[87].

اعتبرت هذه الحادثة انجازا غير مسبوق، وكان لها صدى كبيرا في الدولة العثمانية وأوربا[88].

الخاتمة:.

لعبت مؤسسة الانكشارية دورا مهما في توسع الدولة العثمانية منذ نشأتها واستقرارها، حيث استمرت هذه المؤسسة ما يقرب من خمسمائة سنة (500) لم يقتصر مهامها على الفتوحات العسكرية التوسعية، بل ساهمت في الشؤون الادارية والمالية،

كما كان لها دور كبير في شؤون القصر. وتحولت هذه المؤسسة من المحافظة على أمن واستقرار الدولة، إلى جهة تبث الرعب والفوضى بين الناس، حتى بات الانكشاريون رمزا للفساد والفوضى والانحلال بعد أن كانوا سيفا مسلطا على أعداء الدولة، أدى هذا بالتالي إلى خلق حالة من انعدام الأمن، مما أدى إلى خشية السلاطين من تفشي الفوضى والعصيان بين فئات المجتمع دفعهم إلى محاولة اصلاح هذه المؤسسة أو القضاء عليها، فكانت ردت الفعل من جانب الانكشارية خلع السلاطين وقتلهم. وازدياد جبروتهم وطغيانهم حتى جاءت محاولة محمود الثاني الذي اتبع معهم سياسة أساسها الصبر والإصرار على اصلاح هذه المؤسسة الرافضة للتطور والتجديد، وإصرارهم على هذا الموقف دفعه إلى القضاء عليهم نهائيا فكان عهده أخر عهود الانكشارية.

كما أنه بادر إلى حل الطريقة البكتاشية لارتباطها الوثيق بهم، وبالتالي مهدت له الطريق لإدخال الإصلاحات بالجيش وتطويره وفقا للنظم الأوربية الحديثة.

من هنا يمكن القول أن الانكشارية ساهمت في توسيع وقوة الدولة العثمانية، مثل مساهمتها في ضعفها حتى أصبحت مطمعا للجيوش الأوربية.

الهـــــــــوامش:

[1]- زكريا كاتيجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، مطبعة الغريب ، دار الثقافة ، بيروت 1972 م ص 19 وما بعدها.

[2] – يلما زاوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، استامبول 1988م ص 17 .

[3] – أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، القاهرة 1982 م ، ص 18.

[4] –سعيد أحمد برجاوي ، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت , 1993 م ص .24–

[5] –برنارد لويس ، استانبول وحضارة الإمبراطورية العثمـــانية ، ترجمة سعيد رضوان علي ، دار الكتب ، بيروت د.ت ، ص21.

[6] –بطرس البستاني ، دائرة المعارف الإسلامية ، موضوع عثمان الأول الغازي ، دار المعرفة ، بيروت مجلد 11 ، د.ت ص 700 .

[7] . كان من أكبر قادة الروم ، أسره عثمان وعدد من أمرائه ، وأحسن إليهم ، وأعجب هذا القائد بأخلاق عثمان وفضائله ، وأصبح من أصدقائه ، وخاض معه كافة حروبه . للمزيد من الاطلاع ينظر كتاب إسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، دار الفكر الحديث للطـباعة والنـشر ، بيروت ،1988م ، ص 10 وما بعدها.

[8] – إسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ،1988م ، ص 10 وما بعدها.

[9] . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مرجع سابق ، 23

[10] . بطرس البستاني ، مرجع سابق ، ص 701

[11] . محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية ط 2 ، دار النفائس ، 1983 م، ص 11 .

[12] . بطرس البستاني ، مرجع سابق ، 700 .

[13] . محمد فريد بك المحامي ، مرجع سابق ،ص 118 وما بعدها .

[14] . بطرس البستاني ،مرجع سابق ص 701 .

[15] . عبد العزيز الشناوي ،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، جزء 1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1992 ، ص92.

[16] . المرجع نفسه ،ص 49

[17] . عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون 1516 .1916 ، ط1 ، دمشق 1974م ، ص 33 .

[18] . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مرجع سابق ، ص 16.

[19] . محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1976 م ص 15 .

[20] . محمد كامل دسوقي ، مرجع سابق ، ص 16 .

[21] . علي سلطان ، تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات مكتبة طرابلس العلمية ، طرابلس ليبيا ، دون تاريخ ، ص 164 .

[22] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، ص 130 وما بعدها .

[23]. كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه ، منير بعلبكي ، ط 5 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1988 م ، ص 459 .

[24] . عبد العزيز الشناوي ،مرجع سابق ، ص130 .

[25] . نفس المرجع ، ص 139 .

[26]. محمود السيد ، تاريخ الدولة العثمانية وحـــضارتها ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، 1999 ، ص 197.

[27] . حنان الذهب ، الانكشارية قوام الجيش العثماني وعماده ، مجلة درع الوطن ، الامارات العربية المتحدة .

[28] . عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ، ص 41 .

[29] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ،ص 477 .

[30] . محمد كمال دسوقي ، مرجع سابق ، ص 18 .

[31] . فرقة الانكشارية ،تاريخ عظيم ونهاية مؤلمة ،ص

[32] . حنان الذهب ، مرجع سابق ، ص 15.

[33] . عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ،ص 41

[34] . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد 1 ، إشراف أكمل الدين احسان أوغلي ،نقله إلى العربية صالح سعداوي ، مكتبة الشروق الدولية ، 2010م ، ص 389

[35] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، ص 478 وما بعدها .

[36] . نفس المرجع السابق ، ص 479 .

[37] . الأوجاق = كلمة تركية لها عدة معاني وهو كل ما تنفخ فيه النار من طين أو قرميد أو حديد ، وأطلق على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد ، ثم أطلق على مجتمع أرباب الحرف ، كما أطلق على الصنف من الجند كالسباهية ، وهم فرق من العساكر في الجيش الانكشاري .أنظر محمد أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص 154. أوجاق اللغمجية / نوع من العساكر وظيفته القيام بحفر الخنادق تحت الأرض وتعبئتها بالبارود ، أو وضع ألغام فيها لنسف قلاع العدو.....أنظر / د.سهيل صابان ، المعجم الموسوي للمصطلحات العثمانية ، نشر مكتبة الملك فهد الوطنية ، 2000 م ، ص 42 .

[38] . العلوفات / تعني المرتبات الشهرية ..كلمة عثمانية .أنظر المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية .، مرجع سابق

[39] . ارتبطت الانكشارية بالطريقة الصوفية البكتاشية ، وذلك عند بداية تأسيس الانكشارية صادف أن جاء إلى تركيا من خراسان رجل صوفي علوي اسمه محمد بكتاش ولي سكن القرية التي سميت باسمه اليوم تبعد 180 كيلومتر عن أنقرة ، وقد حصل هذا الرجل على سمعة عالية وقصده الناس للتبرك به ، وحين علم السلطان أورخان بأمره أراد أن ينتفع من بركته ليشمل به جيشه الجديد ، فقصده بنفسه صحبة أفراد من جيشه ، فقام الحاج بكتاش بوضع يده على رأس أحد الجنود ، وقال لهم (فليكن اسمكم انكشارية) وقطع شيئا من قبائه وجعله على رأس الجندي تم قدم لهم علما أحمرا يتوسطه هلال وسيف وأخذ يدعو " اللهم أجعل وجوههم بيضاء وسيوفهم فواصل ، ورماحهم قاتلة ، وأجعلهم منتصرين قاهرين لأعدائهم " واتخذ الجنود الحاج بكتاش شفيعا ورمزا لهم ، وأخذ الناس يطلقون عليهم اسم أولاد الحاج بكتاش ، ومن هنا سمي الانكشارية بالبكتاشية ، وتوثقت العرى الطريقة بين الطريقة البكتاشية وأقوى فرقة جيش في الدولة العثمانية في حينها بل وفي سلطة الدولة كلها . وكانت التكايا البكتاشية المنتشرة في أرجاء السلطة العثمانية مأوى للانكشارية ، وكان لكل ثكنة انكشارية مرشدا بكتاشيا ، كما أقيمت تكية بكتاشيةقرب كل معسكر للانكشارية ، وبذلك تسلطت البكتاشية على الانكشارية تسلطا تاما إلى أن حتى قضى السلطان محمود الثاني على نفوذ أتباع هذه الطريقة ومشايخها وعلى الانكشارية عام 1826م . للمزيد من الإطلاع أنظر عبد الكريم رافق ، الأتراك و العثمانيون 1516 . 1916 م ، مرجع سابق

[40] . حنان الذهب ، مرجع سابق ص 10 .

[41]. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد الأول ، اشراغ وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلي ، ترجمة صالح سعدون ، مكتبة الشرق الدولية ، 2010م ، ص386 .

[42] . محمد ثابت ، وأحمد الشناوي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية .، بيروت لبنان ، المجلد الثالث ، دون تاريخ ، ص79 .

[43] . محمد كمال الدسوقي ، مرجع سابق ، ص 21.

[44] . عبد العزيز نوار ، الشعوب الإسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1973م ، ص 48 .

[45] . المرجع نفسه ، ص 71 وما بعدها.

[46] . عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ، ص 215 .

[47] . عبد العزيز نوار ، مرجع سابق ، ص 89 .

[48] . معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا ، إعداد مجموعة من الباحثين ، محمد عمر مروان الفصل الثالث ، تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر ، إشراف اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم 2007م ، ص 103 .

[49] . المرجع نفسه ،ص 103 .

[50] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ،ص 494 .

[51] . سجلان محكمة طرابلس الشرعية ، سجل الأحكام العدلية لسنة 1850 م ..قضية حول مسك الكرغول أحد المتسكعين ليلا وأودع السجن .

[52] . الانكشارية جيش عبيد السلطان العثماني

[53] . علي سلطان ، مرجع سابق ، ص 169 .

[54] . كارل بروكلمان ، مرجع سابق ، ص 466 .

[55] . سعيد أحمد برجاوي ، مرجع سابق ، ص 152 .

[56] . على سلطان ، مرجع سابق ، ص 170 .

[57] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ،ص501 وما بعدها .

[58] . محمد كمال الدسوقي ، مرجع سابق ، 112 .

[59] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، ص 499 .

[60] . التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، تحرير خليل إينالجك مع دونالد كواتر ، المجلد الثاني أ ثريا فاروق وآخرون ، ترجمة عبده قاسم عبده ، المدار الاسلامي ، ط1 ، 2007 ، ص 52 .

[61] . المرجع نفسه ، ص 53 .

[62] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، ص 498 .

[63] . سعيد أحمد البرجاوي ، مرجع سابق ، 205 .

[64] . بسام العسلي ، مرجع سابق ، ص 244 .

[65] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، ص 509 .

[66] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، ص 512 وما بعدها

[67]. علي سلطان ، مرجع سابق ، ص 211.

[68] . نفس المرجع ، ص 217 .

[69] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، ص 525

[70] . نوع من الأنظمة الإدارية وبإلغائه خرجت تونس وطرابلس من التبعية للجزائر حسب هذا النظام وجعلت كل منهما نيابة أو ولاية يديرها والٍ .أنظر عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون 1516-1916م .

[71] . بكلر بك = أمير الأمراء

[72] . الكوالغلية = أبناء الأتراك الذين تزوجوا من النساء الجزائريات . للمزيد أنظر عبد الكريم رافق ، مرجع سابق .

[73] .. عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ص 127 .

[74] نفس المرجع ، ص 129 .

[75]. الباي قائد القوات البرية . للمزيد أنظر المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، مرجع سابق .

[76] . طرابلس الغرب لم يتم فتحها بالقوة كغيرها من الولايات العربية ، بل ذهب وفد من مجاهدي تاجوراء إلى مقابلة السلطان العثماني سليمان القانوني لطلب النجدة من دولته الإسلامية لمساعدتهم من تخليص بلدهم من الإسبان وفرسان مالطا وثم لهم ما أرادوا ، وتم طرد الفرسان منها وبالتالي أصبحت طرابلس الغرب ولاية عثمانية ، وعين مراد أغا كأول والٍ عثماني سنة 1551 م . أنظر معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا ، إعداد وتأليف مجموعة من الأساتذة والباحثين2007م.

[77] .. عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ص130 .

[78] . الطلبة = مبالغ مالية كان يفرضها الانكشارية على الفلاحين وأصحاب الأراضي في الريف انظر الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، مرجع سابق ، ص 130

[79] .. عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ص 131 وما بعدها .

[80] . الصوباشي = مدير الشرطة . أنظر المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، مرجع سابق .

[81] . عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ص 139 . 140 .

[82] . نفس المرجع ، ص ص 141 ، 142 .

[83] . سعيد أحمد البرجاوي ، مرجع سابق ، ص210 وما بعدها .

[84] . عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، ص 545

[85] . المرجع نفسه ، ص 548 .

[86] . إسماعيل أحمد ياغي ، مرجع سابق ، ص 148 .

[87] . محمد فريد بك المحامي ، مرجع سابق ،ص 431 .

[88] . يلماز أوزتونا ، مرجع سابق ، ص 678 .

قائمة المصادر والمراجع:

1. سجلات محكمة طرابلس الشرعية ، سجل الأحكام العدلية لسنة 1850 م

2. زكريا كاتيجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، مطبعة الغريب ، دار الثقافة ، بيروت 1972 م .

[3] . يلما زاوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، استامبول 1988م .

4 . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، القاهرة 1982 م .

5 . سعيد أحمد برجاوي ، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت , 1993 م .

6 . برنارد لويس ، استانبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية ، ترجمة سعيد رضوان علي ، دار الكتب ، بيروت د.ت .

7 . بطرس البستاني ، دائرة المعارف الإسلامية ، موضوع عثمان الأول الغازي ، دار المعرفة ، بيروت مجلد 11 ، د.ت .

8 . إسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ،1988م .

9. محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط2 دار النفائس 1983 م .

10 . عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها ، جزء 1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1992 م .

11. عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون 1516 . 1916 م ، ط 1 ، دمشق 1974 ، ص 33 .

12 . محمد كامل الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1976 م ، ص 15 .

13. كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ترجمة نبيه ، ومنير بعلبكي ، ط5 دار العلم للملايين ، بيروت 1988 م ، ص 459

14 . فرقة الإنكشارية ، تاريخ عظيم ونهاية مؤلمة ،wwwtatarabic.tv

15 . عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ، ص 41 .

16. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد الأول ، اشراف وتقديم اكمال الدين احسان أوغلي ، ترجمة صالح سعدون ، مكتبة الشروق الدولية ، 2010 م .

17 . عبد العزيز نوار ، الشعوب الإسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1973 م، ص 48.

18 . معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا ، إعداد مجموعة من الباحثين ، محمد عمر مروان ،الفصل الثالث تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر ، إشراف اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم 2007 .

19 . الإنكشارية جيش عبيد السلطان العثماني ، www.sasapost.com

20 . التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، تحرير خليل إينالجك بالتعاون مع دونالد كواتر ، المجلد الثاني ، ثريا فاروقي وآخرون ، ترجمة عبده قاسم عبده ، المدار الإسلامي ط 1 ،2007 م.